الدرس العاشر

اختيار المشرف

يبدأ دور الأستاذ المشرف مبكرا، حينما يبدأ الطالب في تحديد المسار الذي ينطلق منه، واختيار التخصص المناسب لإمكانياته الذهنية والعملية، وخلال هذه الفترة يبدأ اتصالاته مع أساتذة (القسم او شعبة) التي ينتمي إليها، ومن خلالها تتبلور أفكاره ويستقر رأيه على الخطوط العامة للموضوع الذي ينوي اختياره ويحدد في ذات الوقت اسم الأستاذ الذي سيكون مشرفا عليه. ولكن حسب التقاليد الجامعية الجزائرية، فإن المجالس العلمية للأقسام لها الصلاحيات في تعيين الأساتذة للإشراف. ولكن هذا لا يعني عدم وجود المرونة التي تمكن الطالب من الحصول على مبتغاه، أي الموافقة على استاذه المشرف من خلال الاتفاق بينهما على أن يكون الاول مشرفا على بحث الثاني.

وفي حال التوفيق في اختيار أستاذ مشرف كفؤ تكتمل أضلاع المثلث الذي سيأخذ البحث إلى ناصية النجاح والتفوق. والتي حددت أضلاعه الثلاث بـ: طالب مميز؛ موضوع جيد ومشرف مختص كفؤ. ومن هنا، نجد أن العلاقة تبدأ بين الطالب(الباحث) والأستاذ المشرف من وقت مبكر وقبل ترسيمه من قبل المجلس العلمي للكلية.

ومن أجل التأكد من حسن الاختيار من قبل الطالب للأستاذ المشرف، فإنه من الضروري أن يقيم الطالب قراره في الاختيار من خلال طرح بعض التساؤلات التي تحدد له في أن هذا الأستاذ أو ذاك مشرف على بحثه. وهي تساؤلات مهمة لا يمكن تجاهلها لأنها سوف تسهل عليه الطريق للوصول إلى تحقيق الهدف المرجو، وهذه التساؤلات هي:

1. هل مخول للقيام بالإشراف على البحوث ؟.
2. هل هو متفرغ للإشراف وجدي في عمله ؟.
3. هل له اهتمامات في ذات الموضوع الذي اختاره الطالب أو الباحث؟.
4. هل سبق له أن أشرف على طلبة وكان إشرافه مفيدا ؟.

5. هل يقدم الدعم المعنوي ويعمل على توفير النادر من المصادر ؟.
6. هل يتعاون مع أساتذة آخرين لصالح الطلبة ؟.

إن الإجابة على مثل التساؤلات وغيرها بالإيجاب يمكنها أن تساعد الطالب الباحث على تجنب الكثير من المشاكل والمعوقات التي قد تواجهه أثناء بحثه، وإذا كانت الإجابة بالسلب على غالبيتها، فإنه من المستحسن أن يتجنب خوض تجربة قد تكون نهايتها غير سعيدة، وتصل بالبحث إلى الطريق المسدود. وعليه فإنه من الضروري التأني بشكل كبير في عملية الاختيار التي لا يجب أن تكون قائمة على أساس عاطفي أو شخصي، لأن مثل هذه الخيارات في أحيان كثيرة ستكون آثارها سلبية مثلما أشرت من قبل.

يبدأ دور الأستاذ المشرف مبكرا كما سبق الإشارة إلى ذلك، فبعد اقتراح الطالب لموضوع البحث يعرفه المشرف بالظروف المحيطة بالموضوع، فقد يكون بُحث من قبل على النحو الذي يقترحه الطالب، وقد يكون موضوعا لا يستحق المجهود الذي سيبذله إما لجفافه أو عدم إفادته، وقد يكون من الموضوعات التي تحتاج للغات لا يعرفها الطالب، أو ربما هناك صعوبة في الوصول إلى مصادره الأساسية، مما يجعل العمل في حال انجازه ركيك وغير ذي فائدة. إذا من المستحسن أن يتدارس الأستاذ المشرف مع الطالب ثلاث أمور تتعلق بموضوع بحثه، وهي:

1. مدى أهمية الموضوع من الناحية العلمية. وفيما إذا كان موضوعا حيويا يستحق الجهد الذي سيبذل فيه ويمكن نشره بعد ذلك، بكل فخر واعتزاز. علما بإن معظم الرسائل والأبحاث التي يتقدم بها الطلاب لنيل شهاداتهم بمختلف مستوياتها، تقبع في أدراج منازلهم لا هم يفكرون في نشرها، ولا أحد يسعى لديهم من أجل هذا الغرض حتى ولو حدثوه عنها.
2. مدى صلاحية الموضوع للبحث: إذ قد تكون مادة الموضوع نادرة أو نتفا متفرقة في المصادر والمراجع المختلفة، ولا تكفي لتأليف بحث

طويل؛ إنما تصلح لانجاز مقال أو بحث قصيرين ينشر في مجلة متخصصة.

3. مدى إمكانيات أو قدرات الطالب العلمية الفعلية، وظروفه الشخصية لموضوع بحثه، كحاجته إلى إتقان اللغات الأجنبية أو إنجاز بحثه في مدة زمنية محددة، أو السفر إلى الخارج لإجراء بعض الأبحاث والدراسات، أو للحصول على بعض المصادر.

لاحظنا من قبل أن اختيار الموضوع هو من مهام الطالب، ولكن هذا لا يمنع أن يقوم الأستاذ المشرف بتوجيهه بخصوص الشكل النهائي للعنوان وطبيعة الإشكالية المطروحة التي سيعمل على إيجاد الإجابات عليها في متن البحث فيما بعد. وهو ما يجنب العمل من الانزلاق في مطبات قد تكون نتائجها وخيمة. وهذا الحديث، يذكرنا بالأسئلة التي طرحها الطالب على نفسه حينما أراد اختيار الأستاذ المشرف المناسب له لانجاز بحثه. وهو الاهتمام والدراية في الموضوع المرشح للبحث فيه، لأن الطالب قد يكون غير ملم الإلمام الكامل بخفايا وثنايا الموضوع، وإذا لم يكن الأستاذ المشرف له من الدراية والمعرفة ما يكفي، فإنه من الطبيعي أن تكون هناك معوقات ستواجه البحث لا محال.

ولابد من الإشارة هنا إلى مسألة مهمة وهي أن بعض الطلبة قد يختارون موضوعات بنصيحة من الأستاذ المشرف، يمكن الاستفادة منها مستقبلا في موضوعات أطاريحهم في الدكتوراه، بحيث تكون رسالة الماجستير منطلقا لهم لدراسة جديدة وأشمل وأعمق.

ومتى تم الاتفاق على الموضوع، فمن واجب الطالب أن يظل على صلة بالأستاذ المشرف، وأن ينسق علاقته به، ليظل الأستاذ المشرف على علم تام بالخطوات التي يخطوها الطالب، ويعرف تماما مدى التقدم والتطور الذي يحصل عليه. وبناءا عليه، لابد من أن تكون هناك مواعيد منتظمة يجري الاتفاق عليها بين الأستاذ المشرف والطالب الباحث وعليهما الالتزام بها، لأنها الفرصة التي يستطيع كلا الطرفين من الوصول إلى وجهات النظر المتوافقة التي تساعد على تسهيل سير عملية الانجاز. ومن دون هذه اللقاء لا يمكننا توقع

تقديم عمل بحثي لائق مهما كانت قدرات الطالب على الانجاز والإبداع، لأن الأستاذ المشرف له دور مهم في عملية الانجاز لابد أن يقوم به.

على العموم، إن الأستاذ المشرف هو الذي يقود عمل الطالب منذ بدايته حتى نهايته، فهو الذي يوافق بداية على موضوع بحثه. وهو الذي يوجهه بنصائحه، فيلفت نظره إلى قائمة المصادر والمراجع المهمة أو الآراء الجديرة بالإطلاع والنظر، وهو الذي ينظر في أجزاء البحث أو أبوابه أو فصوله حال اكتمالها، إما دفعه واحدة وهذا ما لا يفضله ولا يحبذه كثير من المشرفين؛ وإما على دفعات حال اكتمال كل جزء أو فصل أو باب، وهذا ما يفضله غالبية المشرفين. وبالتالي فهو بمثابة الأب العقلي بالنسبة إلى الطالب يساعده عند التعثر فيقوي من عزيمته، ويفيده بملاحظاته وإرشاداته، ويخصص من وقته ما يكفي لذلك.

خلاصة القول أن للأستاذ المشرف أهمية كبيرة لا يمكن التقليل منها مهما كانت إمكانيات الطالب الباحث. وحتى لو كان الأستاذ المشرف من النوع الذي لا يمكنه أن يقدم الجديد إلى الطالب الذي يشرف عليه -ولكن هذه الحالات استثنائية ومحدودة- فالأساس أن دور الأستاذ المشرف لا يمكن تجاهل مهما حدث، فهو الموجه والمنبه والكابح -إن صح التعبير- لاندفاعات الطالب الغير متزنة، الذي هو في الأساس قليل الخبرة والدراية في الأمور.